رؤيـــة سيكـــو-اجتماعيـــة

التقديـس والتدنيـس والخـلاص فـي العقـل العربـي

www.arabpsynet.com/Documents/DocAliPsychoSocialVision.pdf
علي عبد الرحيم صالح
مدير مركز الارشاد النفسي
في جامعة القادسية - العراق
ali_psycho5@yahoo.com

توصف رحلتنا الاولى من الحياة بانها المرحلة التي ندمج فيها قيم المجتمع الاخلاقية ومعاييره ومقدساته الدينية في البناء السيكولوجي للذات ، إذ نتعلم خلال هذه الرحلة كيف نتصرف وسط المجتمع ونمتثل قوانينه وتعليماته ونتجنب محرماته المقدسة ، وبصورة تدريجية تصبح هذه المحرمات جزءا اساسيا من مفهومنا لذاتنا وجهاز رقابي يوجهنا بصورة آليه نحو القيام بالسلوكيات المرغوبة والحذر من مخالفة اوامر المجتمع وإلا فان هذا الجهاز سوف يطلق دفاعاته النفسية ويجعلنا نشعر بالذنب والعار والخجل ، وبما ان هذه الانفعالات مؤلمة ومقلقة وتشكل ضغطا نفسيا شديدا علينا فاننا نحاول كبتها او الخلاص منها من خلال ممارسة بعض السلوكيات والطقوس الدينية التي تخفف عنا كاهل هذه الخبرات المؤذية ، لذلك تشكل طقوس الخلاص احدى الوسائل التكيفية للتخلص من الذنب والعار ، وغسل ذنوبنا وانتهاكاتنا للمحرمات الاجتماعية ، ولا سيما اننا نعيش في مجتمعات أبوية تعمل على تطبيع مقدساتها بصورة قهرية وملحة ، وتفرض نظاما صارما وعقوبات قاسية لمن يجرئ بالتعدي عليها.

المدنـــس والمقـــدس فـي المجتمـــع العربـــي

ان تكييف ابناء المجتمع العربي على القيم والمقدسات والمحرمات الاجتماعية بصورة جامدة يؤدي الى تشكيل الشخصية العربية في قالب فكري نمطي يتكون من بعدين متصلين (التقديس مقابل التدنيس) ، إذ يظهر التقديس الديني – الاجتماعي في ضوء طاعة المقدسات والالتزام بأوامرها ونواهيها التي تؤدي الى الشعور بالراحة والاطمئنان والرضا في حين يتمثل التدنيس بارتكاب الافعال المحرمة (حتى لو كانت بسيطة)التي تؤدي الشعور بالآثمو الخطيئة ، لذلك نجد ان الافراد الذين يتكون لديهم ضمير أبوي متشدد يشعرون بالنجاسة والآثام بعد القيام بالأفعال المحرمة ، وتظهر لديهم حاجة قوية في الخلاص منها من اجل استرجاع القداسة التي فقدت منهم أثر فعلهم المحرم ، إذ ان استراد القداسة مرة ثانية يعني استعادة الشعور بالراحة والطمأنينة النفسية التي نسعى لها بصورة مستمرة ، وبهذا الصدد تتسم الشخصية العربية وفق البعدين السابقين بصفات سيكولوجية عصابية مثل الغلظة ، والجمود المعرفي ، وعدم التسامح ، والوسوسة القهرية ، والحاجة الى عقاب الذات ، والخضوع الاعمى للأنظمة السلطوية .

توصف رحلتنا الاولى من الحياة بانها المرحلة التي ندمج فيها قيم المجتمع الاخلاقية ومعاييره ومقدساته الدينية في البناء السيكولوجي للذات

بصورة تدريجية تصبح هذه المحرمات جزءا اساسيا من مفهومنا لذاتنا وجهاز رقابي يوجهنا بصورة آليه نحو القيام بالسلوكيات المرغوبة والحذر من مخالفة اوامر المجتمع

تشكل طقوس الخلاص احدى الوسائل التكيفية للتخلص من الذنب والعار ، وغسل ذنوبنا وانتهاكاتنا للمحرمات الاجتماعية

اننا نعيش في مجتمعات أبوية تعمل على تطبيع مقدساتها بصورة قهرية وملحة ، وتفرض نظاما صارما وعقوبات قاسية لمن يجرئ بالتعدي عليها

ان تكييف ابناء المجتمع العربي على القيم والمقدسات والمحرمات الاجتماعية بصورة جامدة يؤدي الى تشكيل الشخصية

طقـــوس الخـــلاص فـــي العقـــل العربـــي

يحفل التاريخ العربي بالعديد من الطقوس الدينية والاجتماعية في سيكولوجية الخلاص ، إذ ان نتيجة الضمير المتشدد وعقدة العار التي عانى منه العربي لحقب زمنية طويلة (والى هذه اللحظة) ظهرت لديه الكثير من السلوكيات التكيفية للتخلص من المدنس الذاتي–الاجتماعي ، وتمتد هذه الطقوس من الخلاص عبر الذات الى التوحد مع الاله المقدس ، ومن هذه الطقوس هي :

أ. **الخلاص عبر الذات :** وسيلة تتمثل بإيذاء وعقاب الذات من اجل التعبير عن الندم والاسف ، إذ يعاقب الفرد نفسه حتى يتخلص من مشاعر الاثم مثل الجلد وضرب الجسم بالة حادة اوكويه بالنار او عض اليدين او خدش الجسم ...وغيرها ، لذلك يظهر قربان الخلاص عبر الذات في ضوء تعذيبها وتأنيبها وشتمها!!!.

ب. **الخلاص عبر الدم :**وسيلة تتمثل بتقديم القرابين والاضاحي والنذور الحيوانية والانسانية للتخفيف من الشعور بالذنب ، لذلك يظهر الدم كوسيلة للتطهير والحصول على الغفران .

ج. **الخلاص عبر زيارة الانبياء والاولياء :** يتمثل بطلب الافراد الرحمة والعفو من خلال زيارة المقدس الارضي (الانبياء والاولياء واصحاب الكرامات) للتقرب من المقدس السماوي ، إذ ان توحد الفرد بالمقدس الارضي والسماوي وسيلة روحية للخلاص من التدنيس والآثام الذاتية ، وقد تقدم خلال هذه الزيارة بعض الاضاحي كوسيلة للامتنان والعرفان الى المقدس .

د. **الخلاص عبر الصدقات :** وسيلة تتمثل بتقديم الصدقات والمعونات للفقراء والمحتاجين لأن مساعدة الضعفاء والعطف عليهم يزود الفرد الشعور بالراحة والتقدير الايجابي للذات ومن ثم التخلص من المشاعر السلبية الناتجة عن الاثم.

ه. **الخلاص الجمعي :** وسيلة جمعية تظهر لدى مجموعة كبيرة من الناس على شكل طقوس دينية–اجتماعية منظمة في ظل اجواء خاصة من البكاء والجلد وأدماء الذات، وتستعمل لطلب البركة والتخلص من مشاعر العجز والذنب الداخلية ، وتمارس هذه الطقوس لدى بعض الفرق الدينية رغم اتفاق علمائها على حرمة استعمالها .

الجماعـــات النجســـة مقابـــل الجماعـــات الطاهـــرة

العربية في قالب فكري نمطي

تتسم الشخصية العربية وفق البعدين السابقين بصفات سيكولوجية عصابية مثل الغلظة ، والجمود المعرفي ، وعدم التسامح ، والوسوسة القهرية ، والحاجة الى عقاب الذات ، والخضوع الاعمى للأنظمة السلطوية

يحفل التاريخ العربي بالعديد من الطقوس الدينية والاجتماعية في سيكولوجية الخلاص

الخلاص عبر الذات : وسيلة تتمثل بإيذاء وعقاب الذات من اجل التعبير عن الندم والاسف

الخلاص عبر الدم :وسيلة تتمثل بتقديم القرابين والاضاحي والنذور الحيوانية والانسانية للتخفيف من الشعور بالذنب

الخلاص عبر زيارة الأنبياء والأولياء : يتمثل بطلب الإفراد الرحمة والعفو من خلال زيارة المقدس الأرضي (الأنبياء والأولياء وأصحاب الكرامات) للتقرب من المقدس السماوي

الخلاص عبر الصدقات : وسيلة تتمثل بتقديم الصدقات والمعونات للفقراء والمحتاجين لأن مساعدة الضعفاء والعطف عليهم يزود الفرد الشعور بالراحة

إن احدى مساوئ الجماعات العربية المتشددة التي ظهرت عبر صراعاتها المستمرة مع الجماعات الدينية والاثنية في مناطقها الجغرافية تتمثل باستعمال الفتاوى والالقاب والتعابير العدائية مثل (جماعات نجسة – قذرة – كافرة – غير طاهرة) ، إذ بعد تصنيف الجماعة المعتدية لنفسها وللجماعة المستهدفة في بعدين متناقضين (جماعة نحن مقابل جماعة هم) فانها تقوم بتمجيد ذاتها والاعلاء من شأنها وقيمها واصلها العرقي والتاريخي ، لذلك تصف نفسها بالجماعة القوية والصالحة والطاهرة بالمقابل تقوم بالحط والتقليل من قيمة الجماعات المعارضة مثل وصفها بالنجاسة والخسة والنذالة ، وبهذا فان هذه العملية السيكولوجية تزود الجماعة المعتدية بـــ :

-الشعور بالإيجابية والتفوق والقوة .

- الخلاص من مشاعر الذنب والاثم في حال ارتكابها اعمال عدائية ضد الجماعات المعارضة. - تبرير اعمالها الاجرامية واستباحة الاموال والاراضي والنساء والاطفال من دون رحمة وشفقة.

وهناك الكثير من الادلة حول اعتداء الجماعات الاسلاموية المتطرفة على الديانات والاثنيات في الدول العربية ، مثل الاعتداءات التي حصلت من بعض الجماعات ضد الاقباط في مصر ، واستباحة الجماعات الارهابية لنساء واطفال وممتلكات الشيعة والايزيدين والشبك والاشوريين في العراق.

الخـــلاص الايجابـــي

يمكن القول ان افضل انواع الخلاص الذي يأتي عن طريق الاعتذار والمحبة والتسامح مع الذات ، او الخلاص الذي يأتي عن طريق الصدقات ورعاية المحتاجين والضعفاء بعيدا عن خرافات المجتمع وطقوسه الدموية ، لذلك نحن نحتاج الى اعادة مخططاتنا المعرفية (الاجتماعية) من جديد من اجل بناء بنى معرفية طيبة وخيرة تشجع على تقبل الذات والاخرين وتفتح لنا طريق العفو والرحمة ، وحتى نصل الى الخلاص الايجابي في مجتمعاتنا العربية علينا ان نغير اساليبنا الصارمة في التنشئة الاجتماعية في ضوء تقبل اخطاء ابنائنا ومعاملتهم بحب ودفء والابتعاد عن استعمال الايذاء والتخويف ، كذلك علينا تغيير صورة الله في المجتمع ، بمعنى تغير صورة الله الجلاد والمعاقب والمنتقم لمن يرتكب الاثام الى صورة الله التواب والرحيم والغفور .

وبهذا الصدد أشارت دراسة (Delgado-Gaitan,1994)و دراسة (Ellison 1996,)إلى ان تنشئة الابناء بعيدا عن مشاعر الذنب والتخويف من الله والجحيم والخطيئة يؤدي الى بناء شخصية صحية وايجابية ومتفائلة ولا تتسم بالتحيزات السلبية تجاه افراد الجماعات الاخرى في حين وجدت دراسة (DeYoung& Zigler,1994) ان عيش الابناء في جو متشدد ، يبالغ في التأنيب ، ويضخم من مشاعر الاثم ينتج عنه شخصية عدائية سلطوية تركز على العنف والعقاب وعدم التسامح مع الاخرين.

والتقدير الايجابي للذات

الخلاص الجمعي : وسيلة جمعية تظهر لدى مجموعة كبيرة من الناس على شكل طقوس دينية-اجتماعية منظمة في ظل اجواء خاصة من البكاء والجلد وأدعاء الذات

بعد تصنيف الجماعة المعتدية لنفسها وللجماعة المستهدفة في بعدين متناقضين (جماعة نحن مقابل جماعة هم) فانها تقوم بتمجيد ذاتها والاعلاء من شأنها وقيمها واصلها العرقي والتاريخي

ان افضل انواع الخلاص الذي يأتي عن طريق الاعتذار والمحبة والتسامح مع الذات ، او الخلاص الذي يأتي عن طريق الصدقات ورعاية المحتاجين والضعفاء بعيدا عن خرافات المجتمع وطقوسه الدموية

نحتاج الى اعادة مخططاتنا المعرفية (الاجتماعية) من جديد من اجل بناء بنى معرفية طيبة وخيرة تشجع على تقبل الذات والاخرين وتفتح لنا طريق العفو والرحمة

علينا تغيير صورة الله في المجتمع ، بمعنى تغير صورة الله الجلاد والمعاقب والمنتقم لمن يرتكب الاثام الى صورة الله التواب والرحيم والغفور

ان تنشئة الابناء بعيدا عن مشاعر الذنب والتخويف من الله والجحيم والخطيئة يؤدي الى بناء شخصية صحية وايجابية ومتفائلة

ان عيش الابناء في جو متشدد ، يبالغ في التأنيب ، ويضخم من مشاعر الاثم ينتج عنه شخصية عدائية سلطوية تركز على العنف والعقاب وعدم التسامح مع الاخرين

المصـــــادر:

Delgado-Gaitan C. (1994) :Socializing Children in Mexican-American Families. In: Greenfield PM, Cocking RR. (eds.) Cross-cultural Roots of Minority Child Development. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, Publishers; 55-86.

DeYoung Y, Zigler EF. (1994) :Machismo in two cultures: Relation to punitive child-rearing practices. Am J Orthopsychiatry.;64:386-397.

Ellison CG. (1996) :Conservative protestantism and the corporal punishment of children. Clarifying the issues. Journal for the Scientific Study of Religion. 35:1-16.

*** *** *** ***

*** *** *** ***

المؤتمر الدولي العربي الرابع عشر للطب النفسي

المؤتمر الدولي الأردني الرابع للطب النفسي

فندق الرويال – عمان – الاردن 20 – 22 تشرين أول 2016

البرنامـــــج العلمـــــي

http://arabpsynet.com/Congress/CongJbs14papc2016JordanScProg.pdf

*** *** ***

الاعلان الثاني

*** *** ***

www.arabpsynet.com/Congress/CongJbs14papc2016JordanI2Ann.pdf

*** *** ***

موقع المؤتمر

www.panarab-psychiatrists-congress2016.com

البريد الالكتروني للمؤتمر

info@panarab-psychiatrists-congress2016.com/

*** *** ***

اللوحة الاعلانية المتحركة للمؤتمر (نمط فلاش)

www.arabpsynet.com/1.swf